

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

تأثر غامر لا
تصوّره الألفاظ
بل دموع ترسم
تأثير هذا القرآن
في القلوب

بعد أن بين القرآن حال الذين أوتوا العلم بأنهم يخرّون للأذقان سجّداً لله عند سماع القرآن، وتنطق أسنتهم بما يُخالج مشاعرهم من إحساسٍ بعظمة الله وصدق وعده، أتبع ببيان حال أخرى من أحوالهم عند سماع القرآن؛ إذ إنهم لأوّل الصدمة يخرّون على أذقانهم سجّداً، ثم هم إذا صحّوا من سكرتهم قليلاً، وفاء إليهم ما عذب من عقولهم وجدوا أنفسهم مع آيات الله تُطالعهم بالحكمة والموعظة الحسنة، فيغلبهم التّأثر فلا تكفي الألفاظ في تصوير ما يجيش في صدورهم منه، فإذا الدُّموع تنطلق مُعبّرة عن ذلك التّأثر الغامر الذي لا تصوّره الألفاظ ﴿وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (١).

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿يَبْكُونَ﴾: أصل البكاء خُروج السائل من الجوف عبر العين قليلاً قليلاً، يُقال: بَكَتْ عَيْنُهُ تَبْكِي بُكَاءً أَيْ خَرَجَ دَمْعُهَا، وَبَكَتِ السَّمَاءُ، أَيْ: أَمْطَرَتْ، وَمِنْهُ الْبَكْيُ وَهُوَ شَجَرٌ أَوْ نَبْتُ إِذَا قُطِعَ خَرَجَ مِنْهُ سَائِلٌ أَيْبَضُ⁽²⁾، والبكاء: سَيْلانُ الدُّمُوعِ بِسَبَبِ حُزْنٍ وَنَحْوِهِ، يُقال: بَكَى الشَّخْصُ فَهُوَ بَاكِ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ حُزْناً أَوْ أَلْماً، وَالْمَرْءُ إِنْ تَهَيَّأَ لِلْبُكَاءِ قِيلَ: أَجْهَشَ، فَإِنْ امْتَلَأَتْ عَيْنُهُ دُمُوعاً قِيلَ: اغْرُورَقَتْ، فَإِنْ سَالَتْ قِيلَ: دَمَعَتْ⁽³⁾، والتبّاكي: تَكَلَّفُ الْبُكَاءِ، وَالْإِبْكَاءُ: فِعْلٌ مَا

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 573 / 8.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (بكى).

(3) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (بكى).

يُبْكِي الْغَيْرَ، وَيُطَلِّقُ الْبُكَاءَ بِمَعْنَى: الصَّوْتِ الَّذِي يَكُونُ مَعَ الْحَزَنِ أَوْ الْأَلَمِ⁽¹⁾، وَحَقِيقَةُ الْبُكَاءِ فِي الْآيَةِ: مُسْتَعْمَلٌ فِي لَازِمِهِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَالْمُرَادُ بِهِ: بُكَاءٌ فَرَحٌ وَبَهْجَةٌ⁽²⁾.

(2) ﴿خُشُوعًا﴾: أَصْلُ (خَشَعَ) وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى التَّطَامُنِ، يُقَالُ خَشَعَ، إِذَا تَطَامَنَ وَطَاطَأَ رَأْسَهُ، يَخْشَعُ خُشُوعًا⁽³⁾، وَالْخُشُوعُ: السُّكُونُ وَالتَّذَلُّلُ، يُقَالُ: خَشَعَ فِي صَلَاتِهِ: إِذَا أَقْبَلَ بِقَلْبِهِ عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ مَأْخُذٌ مِنْ خَشَعَتِ الْأَرْضُ: إِذَا سَكَتَتْ وَاطْمَأَنَّتْ، وَخَشَعَ بَصَرُهُ، أَيَّ: رَمَى بَصَرِهِ نَحْوَ الْأَرْضِ، وَخَفَضَ صَوْتَهُ، وَاخْتَشَعَ: إِذَا طَاطَأَ صَدْرَهُ وَتَوَاضَعَ⁽⁴⁾، وَالْمُرَادُ بِالْخُشُوعِ فِي الْآيَةِ: التَّطَامُنُ وَآثَرُ انْكِسَارِ النَّفْسِ مِنْ اسْتِسْلَامٍ وَاسْتِكَانَةٍ⁽⁵⁾.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

البيان القرآني يقول: وَيَسْقُطُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ سَاجِدِينَ لِلَّهِ وَهُمْ يَكُونُونَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ إِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ، وَيَزِيدُهُمُ الْقُرْآنُ تَوَاضُعًا لِلَّهِ وَخُضُوعًا وَاسْتِكَانَةً، وَرِقَّةً وَلِينًا فِي قُلُوبِهِمْ، كَمَا يَزِيدُهُمْ عَلَيْهَا وَيَقِينُنَا بِاللَّهِ تَعَالَى⁽⁶⁾.

البُكَاءُ مِنْ
خَشْيَةِ اللَّهِ
يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ
الْإِيمَانِ وَنَقَاءِ
النَّفْسِ

❖ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالتَّبْلَاغِيُّ:

دلالة الواو في قوله ﴿وَيَخْرُونَ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ عاطفةٌ، والمعطوفُ عليه قوله سُبْحَانَهُ: ﴿يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُبْحًا﴾، وقد وقع

بالعطفِ يلتقي
أثرُ الجلالِ
والرَّهبةِ
بالسُّجودِ مع أثرِ
العقلِ والتَّفكُّرِ
بالدَّموعِ

(1) الزبيدي، تاج العروس: (بكي).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 235 / 15.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خشع).

(4) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجاهلي، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (خشع).

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 126 / 25.

(6) ابن جرير، جامع البيان: 122 / 15، والواحيدي، البسيط: 509 / 13، والسَّعْدِيُّ، تيسير الكريم

الرحمان، ص: 468.

التَّكْرِيرِ مع العطف لأجل اختلاف القيود، فتكون تلك المغايرة مُصَحَّحَةً العطف⁽¹⁾، أي يَخْرُونَ للأذقان حال كونهم ساجدين، ويَخْرُونَ حال كونهم باكين⁽²⁾، فهما حالان لهؤلاء المستمعين إلى آيات الله؛ الحال الأولى: حين تَلَقَّاهم آياتُ الله، وتطلعُ عليهم كلماته لأوَّل وهلةٍ، فإذا هم بَيْنَ يديها في حالٍ من الجلالِ والرَّهبةِ، تتعقَّدُ معه الألسنةُ، وتسكنُ معه الجوارحُ، وتخمدُ الأنفاسُ، شأنهم في هذا شأن مَنْ تَبَغَّته آيةٌ يرى فيها من الحسنِ والجمالِ ما لم تشهده عينٌ، ولم يتصوَّره خاطرٌ، فيخِرُّ مَغْشِيًّا عليه جلالاً ورهبةً، والحالُ الثانية: حين يعيشون مع هذه الآيات وقتاً ما، ويأنسون إليها، ويُرْزِلهم بعض ما وقعَ عليهم أوَّل الأمر من سطوةِ جلالها وجمالها، فإذا هي لعقولهم أبهى جلالاً، وأروع جمالاً، فيغلبهم التأثيرُ وتفيضُ أعينهم من الدَّمعِ ممَّا عَرَفُوا من الحقِّ⁽³⁾.

سِرُّ تكرار جملة ﴿وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾:

تكرارُ جملة: ﴿وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾؛ إمَّا لاختلافِ الحالين، وهما: خُرُورُهُم في حالِ كونهم ساجدين، وخُرُورُهُم في حالِ كونهم باكين، أو الأوَّل واقعٌ في قراءةِ القرآنِ أو سماعه، والثاني في غير ذلك⁽⁴⁾. أو لاختلافِ السَّبَبِ؛ فَإِنَّ الأوَّلَ لتعظيمِ الله سُبْحَانَهُ وتنزيهه، وللشُّكْرِ عند إنجازِ الوعدِ، والثاني لما أثَّرَ فيهم من مواضعِ القرآنِ حالَ كونهم باكينَ من خَشْيَةِ الله⁽⁵⁾.

تكرارُ خُرُورِهِم
في أيِّ حالٍ أو أيِّ
سببٍ يستدعي
تعظيمِ الله
وفيه دليلٌ على
قوَّةِ إيمانهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 235 / 15.

(2) الزَّمَخْشَرِي، الكَشَاف: 700 / 2، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 418 / 21، وزكريا الأنصاري، فتح الرحمن: 336 / 1.

(3) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 573 / 8.

(4) الزَّمَخْشَرِي، الكَشَاف: 700 / 2، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 418 / 21، وزكريا الأنصاري، فتح الرحمن: 336 / 1.

(5) البيضاوي، أنوار التنزيل: 270 / 3، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 200 / 5، والشوكاني، فتح القدير: 314 / 3.

وتعدُّد المعاني يدلُّ على حسنِ حالهم، ورَفَّةِ قلوبهم ومشاعرهم،
وبالتَّالي يدلُّ على قوَّةِ إيمانهم وخضوعهم لله تعالى.

ويجوز أن يكون تكرار القولِ دلالةً على تكرارِ الفعل منهم⁽¹⁾، ويرى
ابن عاشور أنَّ الخُرُورَ المحكي بالجملة الثانية هو الخُرُورُ الأوَّلُ،
وإنَّما خَرُوا خُرُورًا واحدًا ساجدين باكين، فَذَكَرَ مَرَّتَيْنِ اهتمامًا بما
صَحِبَهُ من علاماتِ الخشوع⁽²⁾.

دلالة نعت هؤلاء ومذخهم بخُرورهم باكين:

دلَّ قوله تعالى ﴿يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ على استحبابِ البكاءِ
والتَّخَشُّعِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَا حُمِدَ فِيهِ مِنَ النُّعُوتِ وَالصِّفَاتِ الَّتِي وَصَفَ
اللَّهُ تَعَالَى بِهَا مَنْ أَحَبَّهُ مِنْ عِبَادِهِ، يَلْزَمُ الِاتِّصَافُ بِهَا، كَمَا أَنَّ مَا
ذَمَّ مِنْهَا مَنْ مَقَّتَهُ مِنْهُمْ يَجِبُ اجْتِنَابُهُ⁽³⁾، فَيَسْتَحَبُّ البُكَاءُ وَالتَّبَاكِي
لِمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى البُكَاءِ؛ فَإِنَّ البُكَاءَ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ صِفَةُ الْعَارِفِينَ،
وَشِعَارُ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ⁽⁴⁾، قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى التِّيمِيُّ: (مَنْ أَوْتِيَ
مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يُيَكِّيه، لَخَلِيقُ الْأَيَّامِ أَوْتِيَ عِلْمًا يَنْفَعُهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ نَعَتَ
الْعُلَمَاءِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ
لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كَانُوا وَعَدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝
وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾⁽⁵⁾)، فَهَذَا مَدْحٌ لِمَنْ أُوْجِبَ لَهُ سَمَاعُ كِتَابِ
اللَّهِ الْخُشُوعَ فِي قَلْبِهِ⁽⁶⁾.

نكتة التعبير بصيغة المضارع ﴿يَبْكُونَ﴾:

أَتَى بِالْحَالِ الثَّانِيَةِ يَبْكُونَ فِعْلًا بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى

من أوتي من
العلم ما لا
يكسبه الخشية
فلن ينفعه
علمه

مشهد لحالة
شعورية غامرة
يرسم تأثير
القرآن في
القلوب سجودًا
وبكاء مستمرًا
متجددًا

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 418 / 21.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 235 / 15.

(3) القاسمي، محاسن التأويل: 521 / 6 - 522.

(4) النووي، الأذكار، ص: 107.

(5) ابن جرير، جامع البيان: 122 / 15، والدارمي، السنن، الحديث رقم: (299).

(6) ابن رجب، مجموع رسائل ابن رجب: 297 / 1.

التَّجَدُّدِ وَالْحُدُوثِ⁽¹⁾، فَكَأَنَّمَا بُكَاءُهُمْ يَتَجَدَّدُ بِتَجَدُّدِ الْأَحْوَالِ الطَّارِئَةِ وَالْعِظَاتِ الْمُتَتَالِيَةِ، وَأَيْضًا لِمَا لَهُمْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ مِنَ السُّرُورِ بِبَعْضِ مَا أُبِيحَ مِنَ الْمَلَذِّ، وَلِذَا لَمْ يَأْتِ بِصِيغَةِ الْأَسْمِ (بَاكِين)؛ لِأَنَّ الْأَسْمَ يَدُلُّ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ وَدَوَامِ ذَلِكَ بِالسُّجُودِ الْمَشْرُوعِ.

كَمَا أَنَّ فِي التَّعْبِيرِ بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ تَصْوِيرًا وَاسْتِحْضَارًا لِحَالِهِمْ⁽²⁾ الَّتِي مَا تَمَالَكَتْ نَفْسُهَا لَمَّا سَمِعَتْ الْقُرْآنَ فَسَقَطَتْ سَاجِدَةً لِلَّهِ مُسَبِّحَةً لَهُ بِمَا خَالَجَهَا مِنْ إِحْسَاسٍ بِعَظَمَةِ اللَّهِ وَصَدَقَ وَعْدُهُ، وَكَيْفَ غَلَبَهَا التَّأَثُّرُ فَلَمْ تَكْفِ الْأَلْفَافُ فِي تَصْوِيرِ مَا يَجِيشُ فِي صَدُورِهَا مِنْهُ، فَإِذَا الدُّمُوعُ تَنْطَلِقُ مُعْبَّرَةً عَنْ ذَلِكَ التَّأَثُّرِ الْغَامِرِ الَّذِي لَا تَصَوُّرُهُ الْأَلْفَافُ فَقَالَ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾.

دلالة الواو في قوله ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ عاطفة، والمعطوف عليه هو قول الله سبحانه: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾، والمعنى العام الذي يجمع المعطوف والمعطوف عليه هو بيان الأوصاف الخيرة المتنوعة، وبهذا الوصف وهو زيادة خشوعهم تكتمل صورة الكملة الذين أوتوا العلم، أي عقبَ الحاليين بحالٍ ثالثة، وهي زيادتهم خُشُوعًا كُلَّمَا قَرَأُوا، وَكُلَّمَا سَجَدُوا؛ فَاسْتَوْفَى بِذَلِكَ سَائِرَ أَحْوَالِهِمْ.

نكتة التعبير بصيغة المضارع ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾:

عَبَّرَ الْبَيَانُ الْقُرْآنِيُّ بِالْمُضَارِعِ ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ دُونَ الْمَاضِي (زَادَهُمْ)؛ لِأَنَّ صِيغَةَ الْمُضَارِعِ تَدُلُّ عَلَى تَجَدُّدِ زِيَادَةِ الْخُشُوعِ كُلَّمَا تَلَّى عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، وَكُلَّمَا سَجَدُوا، وَكُلَّمَا سَبَّحُوا، وَكُلَّمَا بَكُوا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ لِلتَّنَاسُبِ مَعَ التَّعْبِيرِ بِالْأَفْعَالِ الْمُضَارِعَةِ فِي سِيَاقِ الْآيَةِ ﴿يُنْثَلَى﴾ - ﴿يَخِرُّونَ﴾

(1) السمين الحلي، الدر المنثور: 429 / 7.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 235 / 15.

العطفُ زيادةً
بيان واستكمالٍ
للأوصاف الخيرة
في الكملة الذين
أوتوا العلم

تجدد الأوصاف
الخيرة منهم
يجدد عندهم
زيادة الخشوع
لله

- ﴿وَيَقُولُونَ﴾ - ﴿وَيَخْرُونَ﴾ - ﴿يَبْكُونَ﴾ الذي يدلُّ على تجدد الأوصاف الخيرة منهم.

عَوْدُ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾:

ضمير الفاعل في ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ يحتمل أن يعود إلى القرآن الكريم وما فيه من المواعظ والعبر⁽¹⁾، أو أن يعود إلى البكاء⁽²⁾، أو إلى السُّجود، أو إلى المتلّو لدلالة قوله: ﴿إِذَا يَتْلَى﴾⁽³⁾. وفي هذا التعبير بالضمير دون الاسم الظاهر إثراء للمعنى، واختصار في الكلام؛ إذ لو صرّح بالضمير لاقتصر الفاعل عليه ممّا يُقَيّد المعنى، والشُّمول أبلغ؛ لأنَّ زيادة الخُشوع تحصل من مواعظ القرآن وعبره، ومن البكاء عند سماعه، ومن السُّجود لله، ومن سماع المتلّو منه.

سِرُّ الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ بِالْعَدُولِ عَنْ إِسْنَادِ الزِّيَادَةِ إِلَيْهِمْ (ويزدادون):

عَدَلَ الْبَيَانُ الْقُرْآنِيُّ عَنْ إِسْنَادِ الزِّيَادَةِ إِلَيْهِمْ، فلم يقل: (ويزدادون خشوعاً)، وإنّما أسندها إلى السَّبَبِ مَجَازاً؛ إذ الفاعل الحقيقي لزيادة خشوعهم هو الله سبحانه؛ وجيء بالمجاز العقليّ هُنا للإشارة إلى أهميّة السَّبَبِ الذي تسبّب في زيادة خشوعهم، وهو البكاء، أو السُّجود أو القرآن وما فيه من المواعظ والعبر، أو المتلّو عليهم منه.

إِثَارَ لَفْظِ ﴿خُشُوعاً﴾ مَادَّةً وَصِغَةً:

آثر الْبَيَانُ الْقُرْآنِيُّ اسْتِعْمَالَ لَفْظِ ﴿خُشُوعاً﴾ دُونَ غَيْرِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾، فلم يقل: (ويزيدهم خضوعاً)؛ لِمُنَاسِبَةِ لَفْظِ الْخُشُوعِ لِسِيَاقِ الْآيَاتِ، وَلِحَالِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ نَزُولِ

فِي التَّعْبِيرِ
بِالضَّمِيرِ
إِثْرَاءً لِّلْمَعْنَى
وَإِخْتِصَارًا فِي
الْكَلَامِ

مِنْ شَأْنِ سَمَاعِ
الْقُرْآنِ وَمَا فِيهِ
مِنَ الْعِبَرِ أَنْ
يَزِيدَ الْخُشُوعَ
لِلَّهِ وَالْإِيمَانَ
بِحَقِّ عِبُودِيَّتِهِ

حَالٌ هَؤُلَاءِ
السَّاجِدِينَ
الْخَاشِعِينَ
تَعْظِيمَ وَإِخْبَاتٍ
وَحُبًّا لِمَنْ عَرَفُوا
عَظِيمَ قَدْرِهِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 235 / 15.

(2) الصاوي، حاشيته على تفسير الجلالين، ص: 1076.

(3) السمين الحلبي، الذرّ للصون: 200 / 5.

القرآن؛ فهم أهل علم وصدق يخشعون خشوعاً من يعلم أن من يخضع له فوقه، فهو العظيمُ سبحانه، خشوعاً لا تكلف فيه، ولا يكون إلا مع خوفٍ من المخشوع له، كما أنه هو خشوعُ إحياتٍ بكلِّ جوارحهم، وهذا هو معنى الخُشوع في اللغة⁽¹⁾، بخلاف الخُضوع الذي لا يقتضي أن يكون معه خوفٌ، فقد يخضع الإنسانُ تكلفاً من غير أن يعتقد أن المخضوع له فوقه، وهذا أبعد ما يكون عن حال الكملة من أهل العلم الذين تتحدث عنهم الآيات، كما أنه يُناسبُ السياق الذي يذكر التلاوة، والخشوع يكون في الصوت والبصر، ويُذكر لفظ الخُور للأذقان الذي هو سقوطٌ من لا خيار له ولا تكلف؛ لشدة إحياته وخوفه وتأثره، ويُذكر السُجود والبكاء اللذين هما أثر الخشوع في الصوت والبصر، بخلاف الخُضوع الذي يكون في القلب فقط⁽²⁾.

وفي التعبير بصيغة المصدر مُبالغة تؤكد خشوعهم لله تعالى بما يحمله من المعاني السابقة.

ولذلك كان من السُنَّة أن يستحضر المسلم القارئ والمستمع لهذه الآية حال هؤلاء الساجدين الخاشعين، فيسجد اقتداءً بهم، بحيث لا يذكر المسلم سجود أهل الكتاب عند سماع القرآن إلا وهو يرى نفسه أجدر بالسُجود عند تلاوة القرآن⁽³⁾.

❁ الفروق المُعْجَمِيَّة:

البكاء والتأوه:

رغم تقارب لفظ (البكاء) ولفظ (التأوه) في دلالتهما، إلا أنَّهما يفترقان في ملامح دلالية تميِّز كلاً منهما عن الآخر، وذلك من خلال الآتي:

البكاء يكون
بالدموع مع
صوت أو من دون
صوت، والتأوه لا
يكون إلا بصوت

(1) العسكري، الفروق اللغوية بترتيب وزيادة، ص: 216 - 217.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والأزهري، تهذيب اللغة: (خشع).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 235/ 15.

البُكَاءُ من بَكَى يبكي بُكَاءً، وهو يُمَدُّ وَيُقَصَّرُ، فالْبُكَاءُ بالمدِّ الصَّوْتُ الذي يكون مع البُكَاءِ، وبالبَقْصَرِ الدُّمُوعُ وخُرُوجُهَا⁽¹⁾، وبكى يُقال في الحزن وإِسالةِ الدَّمْعِ مَعًا، ويُقال في كُلِّ واحدٍ منهما مُنفردًا عن الآخر، والبُكَاءُ يكون من حزن أو ألم، وقد يوجد مع الفرح⁽²⁾، وأنوعه كثيرة؛ فبكاء الخوف والخشية، يكون من مخوف يُتَوَقَّعُ حصوله في المستقبل، وبكاء الرحمة والرفقة ويكون مما يُرى من حوادث مؤلِّة تقع للآخرين، وبكاء المحبة والشوق، ويكون من حرارة الاشتياق، وبكاء الفرح والسرور ويكون من حدث يسرٍّ، وبكاء الجزع ويكون من ورود الألم وعدم احتماله، وبكاء الحزن ويكون على ما مضى من ألم، وبكاء الخور والضعف ويكون لقلة الحيلة، وبكاء النفاق ويكون بدمع العين مع قسوة القلب، والبكاء المستعار والمستأجر عليه كبكاء النائحة، وبكاء الموافقة ويكون من تقليد بلا دراية عن السبب⁽³⁾، والبُكَاءُون: هم الذين يُكثِّرون البُكَاءَ من خشية الله⁽⁴⁾.

والتَّأَوُّه من (أوه)، وآه أو آهِ أو آهِ: كلها حكاية المتأوِّه في صوته، ويفعله الإنسان من التَّوَجُّعِ، وبعضهم يقول: آوَهَ بالمدِّ والتَّشْدِيدِ وفتح الواو ساكنة الهاء، لتطويل الصَّوْتِ بالشَّكَاية، ويخرج هذا الصَّوْتُ لِيَتَفَرَّجَ عَنْهُ ما به⁽⁵⁾، والتَّأَوُّه يكون تعبيرًا عن توجُّع أو حزن أو شكوى من ألم أو مرضٍ أو نحوهما⁽⁶⁾، ويُقال أيضًا تأوَّه من خشية، والأوَاهُ الكثير التَّأَوُّهَ شَفَقًا وَفَرَقًا من التَّقْصِيرِ في حقِّ الله، والكثيرُ الدُّعَاءِ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 114]⁽⁷⁾، وقيل: الأوَاهُ المُسَبِّحُ، أو المُتَضَرِّعُ يَقِينًا، وقيل: هو الكثيرُ الثَّنَاءِ، وقيل: الكثيرُ البكاء⁽⁸⁾.

إذن: البكاءُ والتَّأَوُّه يشتركان في دلالتهما على الحُزْنِ أو الأَلَمِ أو التَّوَجُّعِ، أو من خشية الله.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بكوء)، والجوهري، الصحاح، والرازي الحنفي، مختار الصحاح: (بكي).

(2) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: 1/ 222، والفريوزآبادي، بصائر ذوي التمييز: 2/ 268.

(3) عبد الكريم الديوان، السر للكنون في رقة القلب ودمع العيون.

(4) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (بكي).

(5) الخليل، العين، والجوهري، الصحاح: (أوه).

(6) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط: (أوه).

(7) الراغب، المفردات، ص: 101، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: 1/ 142.

(8) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (أوه).

ويتميّز البكاء بأنّه قد يكون بصوت، وقد يكون بلا صوت، أي بالدموع فقط، وقد يكون من فرح.
في حين التَّأَوُّه لا يكون إلا بصوت شكايةً وتوجُّعًا، وقد يكون أثناء الدعاء والتضرُّع.

الخُشُوع والخُضُوع:

يتقاربُ لفظا (خشع وخضع)؛ حيث يشتركان في معنى التَّطَامُنِ والتَّذَلُّلِ والسُّكُونِ، وقد يُعرَّفُ أحدهما بالآخر، فيقال: الخُضُوع: الخُشُوع⁽¹⁾، ولكن ينفرد كلُّ منهما بملامح فارقةٍ، وإيضاح ذلك أنّ أصلَ (خَشَعَ) يدلُّ على التَّطَامُنِ، يُقال خَشَعَ إِذَا تَطَامَنَ وَطَاطَأَ رَأْسَهُ، وَالْخَاشِعُ: الْمُسْتَكِينُ وَالرَّائِعُ⁽²⁾، وَخَشَعَ: خَضَعَ وَذَلَّ وَخَافَ، فَالْخُشُوعُ: السُّكُونُ وَالتَّذَلُّلُ⁽³⁾، وَالتَّخَشُّعُ لِلَّهِ: الْإِخْبَاتُ وَالتَّذَلُّلُ⁽⁴⁾.

وأنَّ أصلَ (خَضَعَ) يدلُّ على تَطَامُنٍ فِي الشَّيْءِ، وَالْخُضُوعُ هُوَ الذُّلُّ وَالِاسْتِخْدَاءُ، وَخَضَعَ الرَّجُلُ إِذَا لَانَ كَلَامُهُ⁽⁵⁾، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: 32]، وَخَضَعَ: تَوَاضَعَ وَسَكَنَ وَانْقَادَ⁽⁶⁾، وَيفترقُ الخُشُوعُ عَنِ الْخُضُوعِ فِي عِدَّةٍ وَجْهِ مِنْهَا:

أَوَّلًا: الْخُضُوعُ هِيَ تَذَلُّلٌ فِي الْبَدَنِ وَإِقْرَارٌ بِالِاسْتِخْدَاءِ، أَمَّا الْخُشُوعُ فَهِيَ تَذَلُّلٌ فِي الصَّوْتِ وَالْبَصَرِ⁽⁷⁾.

ثانيًا: ذكر العسكري بينهما فروقًا؛ وهي أنّ الخُشُوعَ يرى فاعله أنّ مَنْ يَخْضَعُ هُوَ لَهُ يَكُونُ فَوْقَهُ، وَأَنَّهُ أَكْثَمُ مِنْهُ، وَالْخُشُوعُ لَا يَكُونُ

(1) الراغب، المفردات، ص: 286.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خشع).

(3) الزبيدي، تاج العروس، والمعجم الوسيط: (خشع).

(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (خشع).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خضع).

(6) الزبيدي، تاج العروس: (خضع).

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة، والأزهري، تهذيب اللغة: (خشع).

الخُشُوعُ إِخْبَاتٌ
وْخَوْفٌ يَظْهَرُ فِي
الصَّوْتِ وَالْبَصَرِ،
وَالْخُضُوعُ لِينٌ
وَانْقِيَادٌ بِالْقَلْبِ

إلا مع خوفٍ الخاشعِ للمخشوعِ له، ولا يكونُ تكلفاً، ولهذا يُضافُ إلى القلب، فيقال: خشعَ قلبه.

في حين أنَّ الخضوعَ لا يقتضي أنَّ يكونَ معه خوفٌ، ولهذا لا يجوزُ إضافته إلى القلب، وقد يجوزُ أنَّ يخضعَ الانسانُ تكلفاً من غير أنَّ يعتقد أنَّ المخضوع له فوقه، ولا يكونُ الخضوعُ كذلك.

ثالثاً: قيل: الخضوعُ: الإخباتُ، والخضوعُ: اللينُ والانتقيادُ؛ ولذلك يُقال: الخضوعُ بالجوارح والخضوعُ بالقلب⁽¹⁾.

(1) العسكري، الفروق اللُّغويَّة بترتيب وزيادة، ص: 216 - 217.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446 هـ - 2024 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-26-5

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»